**المحاضرة الثالثة : تطور التربية عبر التاريخ**

**لمحة حول مفهوم التربية عند بعض الشعوب**

**التربية لدى الأقوام البدائيون :**

إن التربية في المجتمعات البدائية–التي عاشت منذ خمسة أو ستة آلاف سنة، تمتاز ببساطتها وبدائية وسائلها، مثلها في ذلك مثل الحياة العامة التي كانت تحياها تلك المجتمعات البدائية في فجر الحضارة الإنسانية. وتلك المجتمعات وإن تباينت في كثير من الأمور فإنها تتشابه في كثير من المميزات العامة التي من شأنها أن تلقي ضوء على طبيعة العملية التربوية وعلى أهدافها في تلك المجتمعات. ومن بين تلك المميزات العامة نسبة الحياة إلى الجماد أثناء تفسيرهم للبيئة المحيطة بهم، فكان الرجل البدائي يعتقد أن وراء كل قوة مادية قوة أخرى غير مادية هي القوة الروحية. ومن هذه المميزات أيضا بساطة الحياة البدائية وقلة مطالبها حيث أنها لا تعدو إشباع حاجات الجسم من طعام وشراب وكساء ومأوى، وإلا من ضد عالم الأرواح. ولما كانت عملية التربية في تلك المجتمعات لا تختلف عن عملية الحياة نفسها، فإن أهدافها هي الأخرى كانت نفس أهداف الحياة العامة. ومن أبرز الأهداف العامة للتربية البدائية:

– المحافظة على الخبرة الإنسانية والتقاليد السائدة، وتحقيق المطالب التي يتوقف عليها استمرار حياة الفرد وأمنه النفسي. والتربية البدائية على هذا تتكون من عمليتين رئيسيتين، هما :

* الإعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، ولتمكين الفرد من نفسه وممن يعتمدون عليه ومن بناء علاقات طيبة مع أفراد قبيلته.

– تدريب الفرد على ضروب العبادة التي يستطيع بواسطتها أن يرضي عالم الأرواح وينير إرادته الطيبة وبذلك يحقق لنفسه الأمن والسلام. وإذا كانت الناحية الأولى هي عماد التربية العملية لدى الرجل البدائي فإن الناحية الثانية هي عماد التربية النظرية عنده.

تلك هي طبيعة العملية التربوية في المجتمعات البدائية. وهدف التربية في ضوء هذه الطبيعة–هو تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية. ولتحقيق هذا الهدف، كانت تعتمد على التلقين والتدريب العملي والتقليد اللاشعوري فمن خصائصها أنها كانت تتم بطريقة غير مقصودة، بمعنى أنها غير مقصودة، بمعنى أنها لا يتولى القيام بها معاهد ومؤسسات خاصة بها، بل يقوم بها المجتمع بأسره. كما أن من خصائصها أيضا أنها تربية

مباشرة تتم عن طريق الخبرة العملية والاشتراك النشيط للمتعلم أثناء تقليده لما يقوم به الكبار من نشاط، سواء في سبيل إشباع حاجاتهم الجسمية، أو في سبيل حاجاتهم الروحية. ثم إن من خصائصها أيضا غلبة روح المحافظة عليها وسلبيتها حيث أنها كانت تسعى لاستمرار العرف السائد في الجماعة دون تغيير أو تعديل، وتحاول تشكيل الفرد بالثقافة المحيطة به تشكيلا ثابتا سلبيا وتؤدي به إلى أن يتشرب ويستبطن كل الأوضاع القائمة في مجتمعه دون أن يحاول تغييرها أو تعديلها ودون أن يكون له مجال للحرية والاختبار. إذن أهم ما يميز التربية لدى الأقوام البدائية، أنها تهدف إلى أن يقلد الناشئ عادات مجتمعه وطراز حياته تقليدا عبوديا خاصا، فالطفل عندهم يتدرب على الأعمال التي تمارسها القبيلة كأعمال البيت، وصناعة الأدوات الضرورية، وحياكة الأقمشة، والصيد والحرب، وحمل السلاح، والرعي، والزراعة، فهي بهذا تعتبر تدريبا آليا تدريجيا على معتقدات الأسرة الاجتماعية وعاداتها وأعمالها، غير أن تربية الجنس البشري لدى الأقوام البدائية احتلت مكان الصدارة فيها الخصائص الثلاث المتمثلة في الإله والطقوس واللغة، وأن الذي يمارس التربية كما لاحظ المربي الأمريكي ديوي المجتمع بأسره بصورة غير مباشرة تتمثل في عمليات التمثيل والرقص والتقليد التي يقوم بها الصغار محاكاة الكبار لغرض نقل حركاتهم وتصرفاتهم، إلا أن هناك طقوسا تلي الولادة مباشرة، وهي مظاهر لدمج الوليد بزمرته التي ينتمي إليها، فالوليد يبقى في أيام حياته الأولى في حضن وكنف النساء وبالتالي فهو لا يندمج بالصورة المطلوبة في مجتمعه، لذلك فإنه لا بد من وجود طقوس جديدة لتحقق له الاندماج، وهذه عادة ما تكون عند البلوغ، وهذه الطقوس تغير حياته وتعتبر ولادة جديدة بالنسبة له، ويتم إعداد هذه الطقوس لفترة طويلة ومراقبة دقيقة يقوم بها شيوخ القبيلة، وهم الذين يتولون في نهاية الأمر الحفاظ على المعتقدات والطقوس التقليدية. وهذه الطقوس تجعل الخاضعين لها يتلقون تجارب قاسية وأليمة، وكثيرا ما يتم إجبارهم وإكراههم على الخضوع والصمت والصوم، وكثيرا ما يطلب إليهم أن يتلقوا تعاليم تنقل إليهم تقاليد مرعبة مخيفة. والتربية البدائية لا تميل للقسوة إلا فيما يتعلق بالطقوس.

والأقوام البدائية بالنسبة للتربية الجسدية يتركون لأولادهم الحرية حيث يركن هؤلاء الأولاد إلى الكثير من الألعاب الممتعة التي يتم فيها تقليد الكبار، حيث يتدربون عليها منذ نعومة أظفارهم، ففي المجتمعات المحاربة يسهمون في صنع السيوف والرماح والقسي وأدوات الحرب وآلاته، ويقلدون الكبار فيما يقومون به من معارك، أو ينصبونه من كمائن.

**التربية في الصين القديمة**

لقد "ارتبطت عملية التربية و التعليم في الإمبراطورية الصينية القديمة بمجموعة من العوامل و الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية التي كانت سائدة في تلك البلدان، و أسهمت في تكوين حضارة عريقة ال

تزال تؤثر في الحضارات البشرية الحديثة " ، وعليه تكون التربية مرتبطة كذلك بظروف عصرها و المسائل المطروحة فيه،" و الغرض من التربية عندهم هو البحث في مقتضيات الحياة و مقتضيات الحياة تعني البحث في الحكومة والأنظمة والقوانين والشرائع و الأخلاق وجميع شؤون الحياة الاجتماعية، التي كان يتعلمها الأطفال من دراسة الفضيلة وخدمة الأقارب، ثم كيفية اللبس وآدابه وأشياء أخرى في الفلسفة والحياة والعالقات الروحية" ، و عليه فإن الهدف من التربية في الصين هو الحصول على متطلبات الحياة، حيث لم يكن بالصين تعليم نظامي حكومي،" فقد انتشرت مدارس للقرى و هي تشبه إلى حد كبير الكتاب في مصر، فهي عبارة عن حجرة واحدة و معلم واحد يأخذ أجرته من أولياء أمور التلاميذ، وكان مقصورا على أبناء الأغنياء، أما أبناء الفقراء فلم تتح لهم فرصة التعليم، أي أن التعليم كان مقصورا على الطبقة الغنية، لم يكن تعليم ديمقراطي و كذلك لم تكن هناك فرصة لتعليم البنات و التعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشرة، و لم يتعد الذين جاوزوا التعليم الابتدائي ) المرحلة الأولى أكثر من خمسة في المائة " ، لأن التعليم في الصين كان بنسبة قليلة جدا .كما " أشار ماكس فيبر إلى العلاقة المتبادلة بين النظام السياسي والإداري والتنظيمي، و أيضا طبيعة الطبقات الاجتماعية التي وجدت في المجتمع الصيني القديم، و بين أنماط الفكر التربوي والتعليمي الذي كرس أساسا من أجل المحافظة على النظام الطبقي والاقتصادي و الاجتماعي في هذه الإمبراطورية القديمة ، بحيث تكون التربية و النظم التعليمية هي الأساس الذي يفصل ويحافظ على النظام الطبقي واتضحت طبيعة التعاليم الكنفوشوسية القديمة و خاصة تلك التعاليم الأخلاقية و الروحانية التي تؤكد مجموعة من العادات والتقاليد والأحداث التي تعكس مدى حرص الشعب الصيني القديم على انشاء المدارس المتخصصة المختلفة لتعليم الناشئ سواء من أبناء الطبقات الحاكمة حب التعلم والتعليم، أو الحاشية أو رجال الدين، علاوة على وجود نظام تعليم و تربوي يكرس أساسا للتعليم العسكري ولتنظيم الجيوش للحفاظ على الأمن الداخلي و حماية الأفراد من القلاقل الداخلية ، وتعتبر التعاليم الكنفوشوسية تعاليم أو قواعد تتسم بطابع ديني، تحقق و تحافظ على قيم المجتمع داخل مؤسسات تعليمية منظمة، "وبالإضافة إلى ذلك كانت مؤسسات الدولة الصينية القديمة وأهدافها موجهة لتخريج موظفين عموميون، مهندسين أكفاء لإنشاء سور المرافق الحيوية خاصة في المجالات العمرانية والسكانية، وهذا ما أدى إلى إنشاء سور الصين العظيم الذي يعد أحد عجائب الدنيا السبع .

**التربيةفي الهند القديمة :**

**إن** التراث الهندي الثقافي والحضاري يعكس مدى الاهتمام بالتعليم و التربية كجزء أساسي من مكو نات عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية و الأخلاقية و اللاهوتية الدينية التي تم غرسها في الأجيال الهندية القديمة، و يتضح ذلك في طبيعة النسق الطبقي و الاجتماعي الهندي المتوارث عبر الأجيال التاريخية، و تعتبر قوانين مانومن أقدم التشريعات في الهند، وهي من صنع البراهمة، والتي كانت من أرفع الطوائف، و قد دونت هذه القوانين من أجل الحرص على تعليم الأجيال القادمة أوضاع الحياة الاجتماعية وقواعد السلوك الاجتماعي، والإبقاء على قواعد العرف والتقاليد، وقد أشاد حكام الهند بفضل "الجزاء" في حفظ الكيان الاجتماعي واستقرار النظام، و خفت حدة هذا التزمت في تعاليم الديانة البوذية و التي نادت بوجوب المساواة بين المواطنين، و دعت جميع الأفراد إلى الاشتراك على قدم المساواة في الطقوس والعبادات، و ذلك على عكس ما كانت تذهب إليه البرهمية من قصر الحياة الدينية على طبقة رجال الدين من البراهمة .و نجد أن التربية الهندية تميزت بصفتين مهمتين: الصفة الاجتماعية والصفة الدينية، وكان للدين و النظام الطبقي أثر واضح في تشكيل نظام التربية بالهند، و لم تستطع الدولة السيطرة على الشؤون التربوية، إذ أن رجال الدين من البراهمان و غيرهم كانت لهم سلطتهم الكبرى في احتكارهم الكتابة و قصرها على عدد قليل من الهنود حتى يضمنوا حفظ أسرار النصوص المقدسة وليجعلوها مشاعا للجميع . فالنظام التربوي كان تحت سيطرة رجال الدين، و نرى بأن الشعب الهندي لم يكن لديه نظام تعليمي واسع و شامل، إنما كان يقتصر على فئة قليلة جدا حتى لا يتمكن الناس من معرفة أسرار النصوص الدينية، و كان الكهنة الهنود يقتلون كل استعداد أو حربة فردية و بذلك كان الإنسان يولد عبدا مطاعا، عبدا بفضل طبقته التي تفرض عليه البقاء على مستوى الآباء و الأجداد، و بهذا يصبح الإنسان مقيدا يعيش الحياة التي تفرض عليه من قبل الكهنة فهم كانوا أصحاب القرار .حيث تعتبر"...خريطة بوذا في التعليم فريدة، و لو أنها مدينة بشيء للجوالين فكان ينتقل من بلد إلى بلد وفي صحبته تلاميذه المقربون، و كان يكتفي بالزاد الذي يقدمه أحد المعجبين من سكان البلد الذي يحل فيه، و كانت طريقته أن يقف السير عند مدخل قرية من القرى، و يضرب خيامه في حديقة أو غابة أو على ضفة نهر، و كان يخصص ساعات النهار لتأملاته وساعات المساء للتعليم، و كانت محادثات بوذا تجري في صورة من الأسئلة و ضرب الأمثلة الخلقية و الحوار وأحب عباراته التعليمية المقضية إلى نفسه هي الحقائق السامية الأربع التي يقول فيها رأيه أن الحياة ضرب من الألم، وأن الألم يرجع إلى الشهوة وأن الحكمة أساسها قمع الشهوات، ويأتي ذلك عن طريق العزلة و الخالص و فكاك أنفسنا مما يشغلها من شؤون العيش، و من تعاليم بوذا على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير، فالكراهية لا يمكن أن تزول بكراهية مثلها إنما تزول الكراهية بالحب .

**التربية عند المصريين :**

إن الحضارة المصرية من أقدم الحضارات، تكونت و تميزت عن غيرها من البلدان فقد اهتمت بتطور الفكري التربوي للفرد من أجل أن يكون عضوا فعالا في المجتمع، فكان التعليم ممنهجا و تحت إشراف مختصين، وكانت نتيجة التطور والازدهار الذي عرفته الحضارة المصرية، لكن الشيء الذي يعيب النظام التربوي المصري وهو عدم إمكانية التعليم للجميع واختصت فقط فئة من المجتمع، حيث كان التعليم خاص بالطبقة البرجوازية لأصحاب المال والنفوذ و السلطة، فكانت التربية خاصة وليست عامة للجميع، فقد" تميزت الحضارة الفرعونية القديمة عن غيرها من الحضارات البشرية التي ظهرت في الشرق خاصة وغيرها من الحضارات الأخرى، لأنها قد تركت الكثير من المعالم الحضارية و الأثرية التي تدل على مكانة هذه الحضارة حتى الوقت الراهن، وفضلا عن ذلك، فقد امتد هذا التأثير إل الإمبراطورية الرومانية والمسيحية ، وهذا نتيجة لتطور و رقي الفكر التربوي المصري و ما ترك من تراث فكري جعل من مصر حضارة عريقة يشهد لها التاريخ، كما حرص المصريون القدماء على إتباع أساليب متعددة للتنشئة الاجتماعية والتي تقوم على أسس تربوية وتعليمية للناشئ من الصفر، حتى يصبحوا أفرادا راشدين مسؤولين أمام المجتمع، كما كانت الديانة أساس قوى لتحديد الممارسات والطقوس والشعائر والصلوات والتي يجب تعلمها منذ الصغر وتوجه عامة جميع السياسات التعليمية والتر بوية وتهدف إلى تخريج الكفاءات و المهارات اللازمة في مختلف المجالات، وذلك في إطار احتياجات الدولة باعتبارها التنظيم الاجتماعي الأعلى، أما المؤسسات التربوية والتعليمية التي ظهرت في مصر الفرعونية فقد كانت الأسرة أهم هذه المؤسسات، كما تعكس الآثار الفرعونية القديمة وطبيعة الوصايا والتعاليم والنصائح التي كان يقوم بها الآباء نحو الأبناء منذ الصغر، علاوة على اعتناق المهن واكتسابها، و بهذا تكون الأسرة المنطلق الأول الذي يبدأ فيه الفرد العملية التربوية، و بهذا تكون التربية قد ساعدت في تنشئة و تطور الحياة المصرية في شتى مجالاتها وتتجلى معالم هذه الأخيرة فيما وصلوا إليه من تطور في العلوم، كالزراعة والهندسة والطب واللغة والكتابة...الخ، فبفضل التربية أصبح هناك تغيير إيجابي، و عليه حققت الحضارة المصرية التطور وحافظت على سيادتها بين الحضارات

**التربية عند اليونانيين**

لقد كانت التربية الشرقية تسودها روح المحافظة و الجمود والحد من حرية الفرد هي التي تميز التربية الشرقية، في حين أن روح التجديد والابتكار و روح الحرية الفردية هي التي تميز التربية اليونانية ، فاليونان قد فسحوا مجال واسعا لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية والعملية والفنية، و جعلوا غاية التربية لديهم أن يصل

الإنسان إلى الحياة السعيدة الجميلة، فكان التكوين الروحي للفرد موضع عنايتهم و تكامله النفسي، أو تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهم، وكان يتسم التفكير اليوناني القديم بالشمول والمثالية، ويرجع التفكير في موضوع التربية عندهم إلى قيمة دورها في مجتمعات المدينة الواحدة سواء كانت أثينا أم اسبرطة أم غيرها، إذ اهتموا في إعداد النشء وتكوين الطبقات الحاكمة أو العامة على أسس تربوية سليمة تعتمد على القيم والأخلاق والروح الدينية السليمة ، وكانت بلاد الإغريق على اتصال بحضارات قوية مثل الحضارة البابلية وبلاد الفرس, والحضارات الهندية والصينية وكذلك حضارة مصر الفرعونية وعمل ذلك على ازدهار حضارة الإغريق، فتناول فكرهم القضايا والمشكلات المادية أو العقلية البشرية، مثل قضايا الحرية والديمقراطية اللتان ارتبطتا بالأنساق القديمة ولاسيما أن كل من التعليم والسياسة ارتبطتا لحد كبير بطبيعة أهداف الدولة ومصالحها، بالرغم من التناقص الإيديولوجي لطبيعة الدولة اليونانية القديمة، وخاصة أن استخدام التربية وطبيعتها في تكوين المدينة سواء عن طريق الأسس الديمقراطية كما حدث في مدينة أو دولة أثينا، أو قيام إسبرطة على أسس تسلطية وعسكرية بفضل نوعية ونمط التربية الفعلية" . " كما كانت أهداف التربية والفكر التربوي موجهة بصورة أساسية للحفاظ على طبيعة المكونات الطبيعية لهذا المجتمع، و كانت التربية تستهدف تحقيق أعلى درجات المعرفة العلمية والجمالية و الفلسفية ارتبط تنفيذ هذه الأهداف بنوعية القوانين المنظمة للمدارس، ومدى حرص الدولة بتربية النشء و تكوين الروح الدينية والأخلاقية والتربوية، بل اهتمت القوانين التربوية أيضا بتنظيم البرامج الترفيهية و الرياضية وساعات الدراسة ونظمها ونوعية المناهج الدراسية وتكوين الدراسة وتكوين الشخصية وتنمية العقل والروح والجسد .و في أثينا تدرج النظام التعليمي والتربوي بين ثالث مراحل أساسية وهي: مرحلة التعليم الأولى وبها ثلاثة أنواع من المدارس، وهي مدارس تعليم الثقافة، وتعليم الموسيقى والألعاب، مما يساعد على الخلق و الإبداع في المراحل التعليمية الأولى، و تبدأ المرحلة الثانية من سن الرابعة و تركز في مجملها على تعليم التربية الكونية والنظرية، وذلك في معاهد أكاديمية متخصصة، أما مرحلة التعليم العالي فكانت تتكون من ثلاث مدارس مميزة وهي: المدارس الفلسفية و الخطابة والفكر و الثقافة .أما مجتمع مدينة إسبرطة الذي يتصف بالعزلة النسبية مقارنة بالمجتمع الأثيني السابق، فكان يتكون من ثلاث طبقات هي طبقة الإسبرطيين و هي تتكون من طبقة الأجانب، فكانوا يعملون بالتجارة والمال والصناعة ولا يتمتعون بالحقوق السياسية و الحرية، أما طبقة العبيد فكانوا يعملون بالزراعة والمهن العادية الأخرى، و هكذا النظام يقوم على أسس عسكرية تسلطية، فحرص على غرس قيم الطاعة والولاء للدولة وضرورة قبول النصح والإرشاد، و العمل على الصبر و قوة الاحتمال وبقاء الجسم القوي وتحمل الصعاب من أجل خدمة الوطن والولاء المستمر له، و قد ركز المجتمع الإسبرطي مثل المجتمع الاثيني على أهمية دور الأسرة في

عملية التنشئة الأولية خلال السنوات العمرية الأولى، وذلك في إطار قوانين الدولة المنظمة لدور كل من الأب و الأم أو الوالدين معا.